مفاهيم يجب أن تُصان

الجزء الثالث

رابعا : باستغنائهم عن السنة المطهرة ويكتفون بما جاء في القرآن الكريم لأن السنة المطهرة ظلت عرضة لتزييف الزنادقة في العصور الأولى الإسلامية بينما القرآن الكريم هو تنزيل من حكيم حميد تولى الله تعالى حفظه، محفوظ في الصدور والسطور.. فلا يعتريه تغيير ولا يسري إليه تحريف ويتجاهلون في ذات الوقت حقائق قرآنية تدعو إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذه إسوة حسنة في العبادات والمعاملات كلها، منها قوله تعالى:" **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**"(الحشر/7). تأتي هذه القاعدة بعد قاعدة التنظيم الاقتصادي التي تعترف بالملكية الفردية على عكس النظرية الماركسية وتحددها حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعا من التداول بين الفقراء كما هو الحال بالنسبة للنظرية الرأسمالية التي يذكيها احتكار الأموال ويعززها استغلال المستضعفين.

والقاعدة التي نحن بصددها تمثل النظرية الدستورية الإسلامية. فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة... فالسنة المطهرة بيان ووحي من الله تعالى إلا أنه لا يتعبد بها في الصلوات ولكنها ملزمة للأمة، وكيف لا والرسول "**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**" (النجم/3-4). وقد صرح بنفسه صلوات الله وسلامه عليه على أن الله آتاه القرآن ومثله معه، فالمراد بالمثل هنا السنة المباركة الإقرارية والفعلية والقولية.

فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة. والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية بما فيها تلك التي تجعل الأمة مصدر السلطات، بمعنى أن للأمة أن تشرع لنفسها ما تشاء، وكل ما تشرعه فهو ذو سلطان. فمصدر السلطات في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والأمة تقوم على هذه الشريعة وتحرسها وتنفذها،

والإمام نائب عنها في هذا، وفي هذا تنحصر حقوق الأمة. فليس لها أن تخالف عما آتاها الرسول في أي تشريع.

فأما حين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بخصوص أمر يعرض للأمة فسبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلا من أصول ما جاء به الرسول. وهذا لا ينقض تلك النظرية إنما هو فرع منها. فالمرجع في أي تشريع هو أن يتبع ما جاء به الرسول إن كان هناك نص وألا يخالف أصلا من أصوله فيما لا نص فيه. وتنحصر سلطة الأمة والإمام النائب عنها، في هذه الحدود. وهو نظام فريد لا يماثله نظام آخر مما عرفته البشرية من نظم وضعية، وهو نظام يربط التشريع للناس بناموس الكون كله، وينسق بين ناموس الكون الذي وضعه الله له والقانون الذي يحكم البشر وهو من الله تعالى كي لا يصطدم قانون البشر بناموس الكون فيشقى الإنسان أو يتحطم أو تذهب جهوده أدراج الرياح.

وفي سورة الرحمن يشير السياق القرآني إلى هذا الانسجام بين الكون وخليفة الله فيه فيقول تعالى: "**والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**"(9). والإشارة إلى السماء أيا كان مدلولها، توجه النظر إلى الأعلى، إلى هذا الفضاء الهائل السامق الذي لا تبدو له حدود معروفة، والذي تسبح فيه ملايين الملايين من الأجرام الضخمة فلا يلتقي منها اثنان. فلا تصطدم مجموعة منها بمجموعة ويبلغ عدد المجموعة أحيانا ألف مليون نجم كمجموعة المجرة التي ينتسب إليها عالمنا الشمسي، وفيها ما هو أصغر من شمسنا وما هو أكبر آلاف المرات من شمسنا التي يبلغ قطرها مليونا وثلث مليون كيلومتر !!! وكل هذه النجوم وكل هذه المجموعات تجري في الكون بسرعات مخيفة ولكنها في هذا الفضاء الهائل ذرات سابحة متباعدة، لا تلتقي ولا تصطدم... ويخبر الحق الباري جل علاه عن هذه الظاهرة العجيبة في سورة يس عند قوله سبحانه: "**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** "(38-40).

وإلى جوار هذه العظمة في رفع هذه السماء الهائلة الواسعة وضع الميزان، ميزان الحق، ميزان العدل والقسطاس المستقيم وضعه ثابتا راسخا مستقرا وضعه لتقدير القيم، قيم الأشخاص والأحداث والأشياء

كي لا يختل تقويمها ولا يضطرب وزنها ولا تتبع الجهل والغرض والهوى، وضعه في الفطرة ووضعه في هذا المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسالات وتضمّنه القرآن.. ومن ثم يستقر الوزن بالقسط بلا طغيان ولا خسران فتستقيم للبشر أمورهم بفضل هذا المنهج الرباني القويم كما استقامت حركات الأكوان والمخلوقات كلها بالميزان الذي وضعه سبحانه فيها.

فالذي يدعي أنه يحب الرسول الكريم ولا يتبعه في سنته ولا يطيعه في أمره ونهيه فدعواه باطلة، واسأله رحمك الله كيف يصلي الصلوات الخمس وكيف يزكي ماله وكيف يحج؟ فالقرآن دعا إلى هذه العبادات إجمالا دون أي تفصيل.. ألم يدرك هؤلاء السذج أن طاعة الرسول الكريم هي بنفسها هي طاعة الله تعالى قال سبحانه: "**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**"(النساء/80). وأمر الناس مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أطاعه فقد أطاع الله فلا تفرقة بين الله ورسوله ولا بين قول الله وقول رسوله الكريم، ومن تولّى معرضا مكذبا بمكر أو كيد للإسلام أو حيلة من الحيل فأمره إلى الله تعالى من ناحية حسابه وجزائه ولم يرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليجبره على الهدى ويكرهه على الدّين وليس موكَّلا بحفظه من العصيان والضلال ولا مراقبا عليه في حركاته وسكناته.. فهذا ليس داخلا في وظيفة الرسول، ولا في قدرته صلوات الله وسلامه عليه.

فالرسول إذن وظيفته الأولى والأخيرة أنه رسول، لا ينشئ ولا يحدث ولا يملك ولا يشارك الله تعالى في خاصية الألوهية هذه، وهي الخلق والإنشاء والإحداث، وهو يبلغ ما جاء به من عند ربه فطاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه إذن طاعة لله جل في علاه، وليس هناك طريق آخر لطاعة الله غير طاعة رسوله الكريم والرسول ليس مكلفا أن يحدث الهدى للمعرضين المتولين ولا أن يحفظهم من الإعراض والتولي بعد البلاغ والبيان...

فالرسول يهدي ولكن لا يهدي !! يهدي أي يبلغ ويرشد ويبين للناس طريق الهدى ليصرفهم عن سبل الضلال فهدايته هداية دلالة إلى الصراط المستقيم صراط الله رب العالمين ولكنه في ذات الوقت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا لغيره أن يحمله على الهدى بغير إرادته.. فكم من قبائل استجابت لدعوته بمحض دعائه وقد تولى عنها من قبل عمه أبو طالب الذي عاش يؤازره ويحميه من أعدائه... قال تعالى مبينا الإثبات في آخر سورة الشورى: " **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري**

ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور" (52-53). وفي سورة القصص ينفي نسب الهداية لشخصه الكريم بكونها هداية معونة التي هي من خصوصية رب العالمين بقوله: "**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**"(56).

وإن الإنسان ليقف أمام هذا الخبر مأخوذا بصرامة هذا الدين واستقامته، فهذا أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافله وحاميه والذائد عنه، لا يكتب الله له الإيمان، على شدة حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حب رسول الله له أن يؤمن، ذلك إنما قصد إلى عصبية القرابة وحب الأبوة ولم يقصد إلى العقيدة وقد علم الله هذا منه، فلم يقدّر له ما كان يحبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله خاصا بإرادته سبحانه وتقديره وما على الرسول إلا البلاغ وما على الداعية بعد إلا النصيحة الخالصة التي تجعل ما في قلبه يعبر عنه لسانه وقوله يوافق فعله وفعله يرافق قوله ويعرف للأمانة حقها ويؤديها إلى أهلها...والقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب عباده واستعدادهم للهدى أو للضلال.

والذي يدعي أنه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرضى به عليه الصلاة والسلام حكما في أي نزاع يجعله طرفا فيه ولو مع نفسه وأعز أقربائه إليه بأن لا يرجع إلى هديه الشريف فدعواه باطلة وعقيدته نفاق وعن هذا الداء العضال الذي قد يتسرب إلى النفوس الضعيفة من حيث التفاتات القلب إلى زينة السلطان وشهوة المال والأولاد وغيرها نتيجة الصد عن ذكر الله وعن مراقبته في كل الأحوال، فيقول تعالى في سورة النساء: " **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**"(64-65). وهذه حقيقة لها وزنها. إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس مجرد واعظ يلقي كلمته ويمضي، لتذهب في الهواء، بلا سلطان كما يقول المخادعون عن طبيعة الدّين وطبيعة الرسل أو كما يفهم الذين لا يفهمون مدلول "الدّين".

إن الدّين منهج حياة واقعية بتشكيلاتها وتنظيماتها وأوضاعها وقيمها وأخلاقها وآدابها وعبادتها وشعائرها كذلك. وهذا كله يقضى أن يكون للرسالة سلطان يحقق المنهج وتخضع له النفوس خضوع طاعة وتنفيذ. والله أرسل رسله ليطاعوا بإذنه تعالى وفي حدود شرعه القويم في تحقيق منهج الدين منهج الله الذي أراده لتصريف هذه الحياة فتكون طاعة الرسول إذن طاعة لله تعالى. ثم إنه عز وجل لم يرسل الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام لمجرد التأثر الوجداني والشعائر التعبدية فهذا وهم في فهم الدين الحق لا يستقيم مع حكمة الله تعالى من إرسال الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

ومن هنا كان تاريخ الإسلام كما كان. كان دعوة وبلاغا ونظاما وحكما وخلافة رشيدة بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوم بقوة الشريعة والنظام على تنفيذ الشريعة والنظام لتحقيق الطاعة الدائمة للرسول وتحقيق إرادة الله تعالى من إرسال الرسل.

وليست هناك صورة أخرى يقال لها: "الإسلام" أو يقال لها "الدّين" إلا أن تكون طاعة للرسول المبلغ عن رب العالمين، طاعة محققة في وضع وفي تنظيم لا في شعارات جافة لا تسمن ولا تغني من جوع تجعل أصحابها يغترون بنفوذهم وجاههم ويحسبون أنهم مهتدون وأنهم خالدون لا يموتون وعن رعيتهم لا يحاسبون.. ثم بعد ذلك تختلف أشكال هذا الوضع ما تختلف ولكن يبقى في كل الأحوال أصلها ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والأحداث ولا بتغير الهيئات والأشخاص.

وبعد أن فتح الله تعالى أبواب مغفرته للتائبين وأبواب رحمته للأوّابين يقسم جل وعز بذاته العلية أنه لا يؤمن مؤمن حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره كله ثم يمضي راضيا بحكمه مسلّما بقضائه ليس في صدره حرج منه ولا في نفسه تلجلج في قبوله.

فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام، جاءت في صورة قسم مؤكد وأي قسم؟ قسم الله تعالى بذاته المقدّسة العالية!! ، في صورة مطلقة من كل قيد " إذ لا يسأل سبحانه وتعالى عما يفعل" ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو القوي العزيز.. ثم إن ليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تحكيم شخصه كما يزعم بعض الناس ممن لا يدركون من الإسلام شيئا ولا يفقهون من التعبير القرآني قليلا ولا كثيرا.. إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله الكريم مكان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.. وذلك قول أشد المرتدين

ارتدادا على عهد سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين، بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله في حكم الزكاة وعدم قبول حكم رسول الله فيها بعد الوفاة.

وإذا كان يكفي لإثبات الإسلام أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يكفي في الإيمان هذا ما لم يصحبه الرضى النفسي والقبول القلبي وإسلام القلب والجنان في حب واطمئنان. هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان فلتنظر كل نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان.

وختاما أيها الإخوة الأعزاء ينبغي لنا أن لا ننسى أنه ما تزال طوائف اليهود متعادية وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند وتوقد نار الحرب للبلدان الإسلامية بلا استثناء وتفلح إلى أقصى حد في ذلك ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة فاليهود من قبل بزوغ شمس الإسلام في شحناء وفي ذل كذلك وتشرّد ومصيرهم حتما إلى مثل ما كانوا فيه مهما تقم حولهم الأسناد. ولكن مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة التي يتحقق لها وعد الله. فأين هي العصبة المؤمنة اليوم التي تتلقى وعد الله وتقف ستارا لقدر الله تعالى ويحقق الله بها في الأرض ما يشاء قال تعالى في سورة المائدة " **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين**"(64). إن هذا الشر والفساد الذي تمثله يهود لابد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه. فالله لا يحب الفساد وما لا يحبه الله لابد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويعفى عليه.

وانظر رحمك الله كيف يخاطب الله تعالى كل من يريد الاستسلام للأعداء، كل من يريد أن يعيش عيش الذئاب والفئران في الخزي والهوان وكل من يريد أن ينطفئ نور المقاومة المباركة ليسعد الأعداء ويفرح الدخلاء، هؤلاء الذين يظنون أن جيش الصهيونية لا يقهر لأنه شعب الله المختار ولم يلتفتوا إلى تلك النكسات والهزائم التي لحقت به كل مرة وفي كل مكان يطغى عدوانهم فيه على المستضعفين في فلسطين وفي العراق وفي لبنان وغيرها، هؤلاء الذين حكم عليهم القرآن بالردة جراء ولايتهم أعداء الله فيقول فيهم جل علاه في سورة المائدة من قبل الآية التي سبق ذكرها: "**يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين**

أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"(54).

إن اختيار الله للعصبة المؤمنة لتكون القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض وتمكين سلطانه في حياة البشر وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم، وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة. إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله تعالى ومنته على تلك النفوس النبيلة فتتلقى تجليات ربها بحب واطمئنان وثبات.. ومن صد عن هذا الفضل وعن هذه المنة فالله غني عن العالمين ولكن الله يختار لهذه المهمة من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم.. وهؤلاء القوم هم الذين يحبهم ربهم ويحبون ربهم الذي تولاهم وأرشدهم لطريق السعادة الأبدية.

لا جرم أن الحب والرضى المتبادل هو الصلة الوثيقة بينهم وبين ربهم. هذا الروح الساري اللطيف الرفراف المشرق الرائق البشوش هو الذي يربط القوم بربهم الودود سبحانه جل في علاه. وحب الله لعبد من عباده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها، أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي سبحانه وتعالى ولا يعرف الله إلا الله تعالى.

وحب العبد لربه نعمة لا يدركها إلا من ذاقها ومن أحبه الله جعله محبوبا بين خلقه، يقصده الداني والقاصي ويلجأ إليه الخائف والحيران والجائع والظمآن فتراه حبا إلهيا على صورة إنسان كالنخلة لا ينقطع نفعها وكالمعين الذي لا ينفد والكنز الذي لا يفنى يسخر الأسباب لخدمة الحق والخلق ولكنه دوما مع الحق باطنه وإن كان مع الخلق ظاهره.

وإذا كان حب الله تعالى لعبد من عباده أمرا فوق التعبير أن يصفه فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبّين ولله در صالحتنا الجليلة ربيعة العدوية رضوان الله عليها حين قالت في إحدى خلواتها:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هيّن وكل الذي فوق التراب تراب

ثم عجبا لقوم يمرون على هذا كله ليقولوا: إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسوة وعذاب وعقاب وجفوة وانقطاع، لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله وأقنوم الإله، فيربط بين الله والناس، في هذا الازدواج !!

إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا تجفف ذلك الندى الحبيب بين الله والعبيد لكن عبر وسطية قيمة فهي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد وهي علاقة الحب كما أنها علاقة التنزيه. إنه التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين.

ويصف سبحانه وتعالى رجال المقاومة المباركة بأنهم "**أذلة على المؤمنين**".. وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة إنما الأخوة بالله وفي الله ولله، الأخوة التي ترفع الحواجز وتزيل العقبات وتصحح المفاهيم، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس فلا عصبية ولا طبقية ولا استعلاء ولا استبداد.. فلا يبقى في هذه النفس ما يستعصي وما يعتجز دون الآخرين.

إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموسا شحيحا على أخيه. فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه فلن يجد فيها ما يمنعه من الاندماج في إخوانه كذات واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر كما جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.. يفرح إذا فرحوا ويحزن إذا حزنوا وماذا يبقى له في نفسه دونهم وقد اجتمعوا في الله إخوانا يحبهم ويحبونه فيشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه.

ويصفهم سبحانه وتعالى أيضا أنهم أعزة على الكافرين ينأون عن الاستسلام وينهون عنه.. فهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء كرامة لدينهم وصيانة لعقيدتهم التي لا تساوم.. إنها ليست العزة للذات ولا الاستعلاء للنفس إنما هي العزة للعقيدة والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير وأن دورهم هو أن يطوِّعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوِّعوا الآخرين لأنفسهم ليجعلوهم عبيدا لخدمتهم كلا وألف كلا !! ولا أن يطوِّعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى وبغلبة قوة الله على تلك القوى وبغلبة

حزب الله على أحزاب الجاهلية فهم الأعلون حتى وإن انهزموا في بعض المعارك إلا أن العاقبة للمتقين فهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا..

فأهل المقاومة الباسلة والانتفاضة المباركة يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. وفي ما الخوف من لوم الناس وهم قد ضمنوا حب رب الناس وفيم الوقوف عند مألوف الناس وعرف الجيل ومتعارف الجاهلية وهم يتبعون سنة الله ويعرضون منهج الله للحياة إنما يخشى من لوم الناس من يستسلم للأعداء من يلهث وراءهم طمعا في القليل من فتاتهم يمد يده دون حياء ولا خجل كالمتسول الذليل سعيا في رضا سيده البغيض الذي لا يكن له إلا الموت البطيء وهو يخدمه بلا شعور وينصح له على حساب إخوانه بلا وعي أو إحساس.

ومن يستمد عونه ومدده من عند الناس، يخشى لوم الناس إذا قال كلمة الحق لأنها تزلزل أقدامهم.. فيخشى على نفسه ويلات زلزلة الحق فكأنه بخذلانه للمقاومة يحمي نفسه وما عنده ولا يدري أنه يسعى بنفسه إلى حتفها وخرابها. أما من يرجع إلى الحق وإلى موازين الله تعالى ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون كائنا هؤلاء الناس ما كانوا وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان.. وكائنة حضارة هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون. ورحم الله الإمام البوصيري حين قال في بردته المشهورة:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل منتقم
ولن ترى من ولي غير متنصر به ولا من عدو غير منقصم

والله أسأل أن يهدينا وإخواننا المغرورين هؤلاء إلى حب الجهاد بالنفس والنفيس لإعلاء كلمة الله حتى لا تكون في الأرض فتنة ويكون الدين كله لله وتعود الخلافة الراشدة إلى أصلها بعد حكم ملك العضوض وحكم الاستبداد وسيطرة صهيون. فتلك بشارة نبوية أخبرنا بها سيد البرية في ظلال بشارة إلهية وهي قوله تعالى: "**وإذ تأذن ربّك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**"(الأعراف/167). نعم البشارة التي تلتقي مع وعد الله الذي لا يُخلَف للطائفة المؤمنة التي لا تقهر..

إنه الإذن الأبدي الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب وآخرهم إلى وقتنا المعاصر هتلر بنزعته النازية.. وهذا الإذن سيظل ولا ريب نافذا في عمومه. فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب. وكلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن لا يخافون في الله لومة لائم، على هذه الفئة السرطانية الباغية النكدة الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية كما قال سيد قطب رحمة الله عليه، إلا لتقع في معصية ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف آخر وهكذا.. فهذا دأبها.. وهذا نمط حياتها، وهذه أنفاسها أنفاس العقارب والحيات...

فعلى الأمة الإسلامية إذن أن تقف صفا واحدا لتواجه زحف الإلحاد والإباحية باسم الحريات المتعفنة والدفاع عن حقوق الإنسان المهضومة.. وذلك بتربية أبنائنا وأجيالنا تربية تربط بين العلوم الشرعية الإسلامية والعلوم العصرية تربية تعالج أدواء المراهقة وأدواء العجز والكسل والتواكل والبطالة وأدواء الجهل والفقر بتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد الخالص والأخوة الصادقة أخوة التضحية والإيثار كأخوة أهل بدر الكبرى عليهم رضوان الله.. أجل التربية التي تجعل أمتنا دائنة لغيرها لا مدينة، تقود الأمم إلى الصراط المستقيم إلى السعادة الأبدية إلى جعل الإنسان في سلم وسلام مع نفسه ومع خالقه جل علاه ومع مجتمعه ومع الكون المسخر له، تلك السعادة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها". فالصحة الكاملة الشاملة والأمن الواسع والمحيط والاكتفاء الغذائي عناصر العيش الرغيد لكل أمة تريد على جدارة أن تبني مكانها تحت الشمس، أمة مستقلة، تقرر ما تشاء وكيف ما تشاء لا تخنع إلا لربها ولا تخضع إلا لمنهجه القويم.. فثم وعد الله ليأتين لا محالة قال سبحانه في سورة النور: "**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**"(55). يتبع...